

قصيدة: أين يا شعب قلبك الخافق الحساس
للشاعر / أبي القاسم الشابي

أينَ يا شعبُ قلبك الخافقُ الحساسُ؟
أينَ الطموحُ، والأحلامُ؟
أينَ يا شعبُ، رُوحك الشاعِرُ الفنّانُ
أينَ، الخيالُ والالهامُ؟
أينَ يا شعبُ، فكُ السّاحِرُ الخلاقُ؟
أينَ الرّسومُ والأنغامُ؟
إنَ يَمَ الحياةَ يدوي حواليكَ
فأينَ المغامِرُ، المقدّامُ
أينَ عزَمُ الحياةِ؟ لا شيءَ إلا
الموتُ، والصّمتُ، والأسى ، والظلامُ
عُمرٌ ميّتٌ، وقلبٌ خواءُ
ودمٌ، لا تثيره الآلامُ
وحياةٌ، تنامُ في ظلّمةِ الوادي
وتتمو من فوقها الأوهام
أيُّ عيشٍ هذا، وأيُّ حياةٍ؟ !
رُبَّ عيشٍ أخفُّ منه الحِمام
قد مشتُ حولك الفصولُ وعنتكُ
فلم تبتهجُ، ولم تترنمُ
ودوتُ فوقك العواصِفُ والأنواعُ
حتّ أوشكتُ أن تتحطّمُ
وأطافتُ بكِ الوحوشُ وناشكُ
فلم تضطرب، ولم تتألمُ
يا إلهي! أما تحسُّ؟ أما تشدو؟
أما تشتكِي؟ أما تتكلّمُ؟
ملَ نهرُ الزّمانِ أيّامكَ الموتى
وأنقاضَ عمركَ المتهدّمِ
أنتَ لا ميّتَ فيبلى ، ولا حيّ
فيمشي، بل كاننّ، ليس يُفهمُ
أبدأ يرمقُ الفراغَ بطرفِ

جامدٍ، لا يرى العوالمَ، مُظلمٌ
أي سحرٌ دهاك! هل أنت مسحورٌ
شقي؟ أو مارِدٌ، يتهمك؟
أه! بل أنتَ في الشُّعوبِ عجوزٌ،
فيلسوفاً، مُحطّمٌ في إهايه
ماتَ شوقُ الشبابِ في قلبه الداوي،
وعزمُ الحياةِ في أعصابه
فمضى يئنسُدُ السّلامَ..، بعيداً ..
وهناك.. اصطفى البقاءَ مع الأموات،
«في قبرِ أمسيه» غيرَ أبيه ...
وارتضى القبرَ مسكناً، تتلاشى
فيه أيامُ عمره المتشابهة
وتناسى الحياةَ، والزّمنَ الداوي
وما كان من قديمِ رغبة
واعبد «الأمس» وادكرُ صوَرَ الماضي
فدُنْيَا العجوزِ ذكري شبابيه ...
وإذا مرّت الحياةُ حوالَيْكَ
جميلاً، كالزهرِ غصّاً صباها
تتغنّى الحياةُ بالشوقِ والعزم
فيحى قلبَ الجمادِ غناها
والربيعُ الجميلُ يرقصُ فوقَ
الوردِ، والعشبِ، مُنشدّاً، تياهاً
ومشى النَّاسُ خلفها، يتملّونَ
جمالَ الوجودِ في مرآها
فاحذرِ السّحرَ! أيها النَّاسُ القديسُ
والربيعُ الفنّانُ شاعرُها المفتونُ
يُغري بحبها وهواها
وتَمَلَّ الجمالَ في رممِ الموتى ..!
بعيداً عن سحرها وصداها
وتَعزَّلُ بسحرِ أيامِكَ الأولى
وخَلَّ الحياةَ تخطو خطاها
وإذا هبَّت الطيورُ مع الفجرِ،

تُغْنِي بَيْنَ المَرُوجِ الجَمِيلَةِ
وَتُحَيِّي الحَيَاةَ ، وَالعَالَمَ الحَيَّ ،
بِصَوْتِ المَحَبَّةِ المَعْسُولَةِ
وَالقَرَاشُ الجَمِيلُ رَقَرَفَ فِي الرِّوَضِ ،
يِنَاجِي زَهْرَةَ المَطْلُولَةِ
وَأفَاقَ الوُجُودِ لِلعَمَلِ المُجْدِي
وَلِلسَعْيِ ، وَالمَعَانِي الجَلِيلَةِ
وَمَشَى النَاسِ فِي الشَّعَابِ ، وَفِي الغَابِ ،
وَفوقِ المَسَالِكِ المَجْهُولَةِ
يَنشُدونَ الجَمَالَ ، وَالثُّورَ ، وَالأَفْرَاحَ
وَالمَجْدَ ، وَالحَيَاةَ النَبِيلَةَ
فَاغضُضِ الطَّرْفَ فِي الظَّلَامِ ! وَحاذِرُ
فِتْنَةَ الثُّورِ... ! فَهِيَ رُؤْيَا مَهولَةٌ ...
وَصَبَاحَ الحَيَاةِ لا يُوقِظُ المَوْتَى
وَلا يَرَحِّمُ الجَفونَ الكَلِيلَةَ
كُلُّ شَيْءٍ يُعَاطِفُ العَالَمَ الحَيَّ ،
وَيُذَكِّي حَيَاتِهِ ، وَيُفِيدُهُ
وَالذِي لا يَجَاوِبُ الكونَ بِالإحساسِ
عِبَاءً عَلى الوُجُودِ ، وَجُودُهُ
كُلُّ شَيْءٍ يُسَايِرُ الزَّمَانَ المَاشِي
بِعِزْمٍ ، حَتَّى التُّرابِ ، وَدودُهُ
كُلُّ شَيْءٍ - إِلاكَ - حَيٌّ ، عَطُوفٌ
يُؤنِسُ الكونَ شَوْقَهُ ، وَنَشِيدُهُ
فَلِمَاذَا تَعيشُ فِي الكونِ يا صَاحِ !
وَما فِيكَ مِن جَنَى يَسْتَفِيدُهُ
لَسْتَ يا شَيْخَ الحَيَاةِ بِأَهْلٍ
أَنْتَ داءٌ يُبِيدُها وَتُبِيدُهُ
أَنْتَ قَفْرٌ ، جَهْتَمِي لَعِينٌ ،
مُظَلِّمٌ ، قَاحِلٌ ، مَرِيحُ جَمودُهُ
لا تَرَفُ الحَيَاةَ فِيهِ ، فلا طَيْرَ
يَغْنِي وَلا سَحَابَ يَجُودُهُ
أَنْتَ يا كاهِنَ الظَّلَامِ يا

تعبد الموت..! أنت روح شقيّ
كافرّ بالحياةِ والثور..، لا يُصغي
إلى الكون قلبه الحَجْرِيّ
أنتَ قلبٌ، لا شوقَ فيه ولا عزمَ
وهذا داءُ الحياةِ الدّويّ
أنتَ دنيا، يُظِلُّها أفقُ الماضي
وليلُ الكآبةِ الأبدِيّ
ماتَ فيها الزّمانُ، والكونُ إلّا
أمسها الغابرُ، القديمُ، القصِيّ
والشقيّ الشقيّ في الأرضِ قلبٌ
يَوْمُهُ مَيّتٌ، وما ضيه حيّ
أنتَ لا شيءَ في الوجودِ، فغادرهُ
إلى الموتِ فَهُوَ عَنْكَ غَنِيّ